في ذكرى رحيله لـ " ١٥" ..

إطلالة فنيّة على التجارب الغنائية للفنان الكبير فيصل علوي في الأغنية الحضرمية

الأمناء / كتب/ صالح حسين الفردي:

كان تاريخاً فنيّاً، تراثاً إبداعياً، نشيداً إنسانياً، رحيقاً نديّاً لذرات تراب أيامنا الفائتة، وأيقونة طربية لغدنا الآتي، لخمسين عاماً أو تزيد هيمن على كل تفاصيل عشقنا لفنون المحروسة العبدلية لحج الخضيرة، أرض العشق والطرب، والشعر والحسان، ودان العشاق وأهازيج الرّعاة، ونوادر الأمير الفنان أحمد فضل القمندان، إذا عزف على عوده أدهشنا، وإن تماهى مدندناً كانت نبرات صوته رذاذ عشق لا ينتهي لكل مسامات لحج الفاتنة، كان ولم يزل وسيظل صوتنا الغنائي اللحجي المنهمر في تفاصيل الحياة وذاكرة التاريخ ومحطات الفن.

رحيل وبقاء:

رحل إلى دار البقاء في السابع من فبراير من العام 2010م – يرحمه الله – بعد أن ترك لنا تراثاً غنائياً تأصيلياً ثريّاً، كان قد نثره في كل جغرافيا الوطن الجنوبي خلال خمسين عاماً من التألق، وطاف العديد من دول الجزيرة والخليج، ممسكاً بتلابيب الفن اللحجي ليصبح -بالأمس وفي اليوم وبالغد -واحداً من أعمدته التأصيلية الإبداعية الخالدة.

فيصل علوي والأغنية الحضرمية:

في هذه الإطلالة الفنيّة، وفي ذكرى رحيله الخامسة عشر سنحاول أن ننثر تأملاتنا الفنيّة على الزّوايا الإبداعية في تجربة الفنان الكبير فيصل علوي، والبداية لابدّ لنا أن نلفت الانتباه إلى الرقصة الشعبية التراثية اللحجية المسماة بالزفين (المكلاوي)، الذي أطلقه عليها أهل المحروسة العبدليّة لحج القمندان منذ زمن بعيد، وإن لم نقف على أصل هذه التسمية، التي أظهرت ملمحاً من علائق الترابط والتمازج الفنّي والفلكلوري المتعددة بين المحروسة لحج وحاضرة حضرموت مدينة المكلا، والتشابه الكبير بين هذه الرقصة، ورقصة الزّفنة أو المزّكح اللحجية الخالصة والصميمة.

فيصل علوي والذائقة الحضرميّة:

كما يبدو لنا من تتبّع مسيرة عطائه الفنّي، أن الفنان الكبير فيصل علوي قد أدرك مبكراً ما يستهوي الذائقة الحضرمية في المدن والقرى والأرياف، وعشقهم للتراث الشعبي والرقصات الفلكلورية المعتّقة ،وتنويعاتها الايقاعية الراقصة، فعزف جيداً على هذا الفهم العميق والإدراك المبكر، فحالفه النجاح تلو النجاح، وهو يشدّ الرحال فنيّاً وإنسانياً أكثر من مرة إلى حضرموته التي ظل يهواها بعمق ويعشقها بوَلَه صميم، فالمتتبع لتجارب الفنان الكبيرً فيصل علوي، ومقارباته المتعددة للأغنية الحضرمية، يجده قد غاص في مجمل ألوانها العوّادي والشرحي والزفين والدّان بإتقان، موظفاً قدراته الكبيرة في العزف على آلته (العود) المكرّة للإبهار والدهشة لكلّ جمهور الطرب والفن بحضرموت، متنقلاً بين روائع شعرائها وملحنيها بثقة عالية وحسن اختيار وبراعة واقتدار.

- رحل الفنان فيصل علوي بعد أن ترك لنا تراثا غنائيا تأصيليا ثريا في جغرافيا الجنوب خلال ٥٠ عاما من التألق
- رحلة الفنان بن علوي مع الأغنية الحضرمية حملت ملمحا فنيا جديدا في تاريخها المعاصر ووضعته في صدارة مبدعيها
- اطلالته الغنائية الحضرمية مزجت بين لونين من أكثر الألوان الفنيّة تأثيرا وانتشارا داخل الوطن والجزيرة والخليج

إذ نجح في الاستحواذ على ذائقة عشاق الطرب والفن في حضرموت، من خلال ما كان يقدّمه في اطلالته الفنيّة الرسمية والشعبية والخاصة من تراث وفنون وايقاعات لحج الثري والمتعدد، وعلى الأخص الروائع الغنائية ذات الهنك الرزين، أو الإيقاع الرائق، الآتي من تراتيل الرقصات الشعبيّة اللحجيّة المؤصّلة. كما كان حصيفاً جداً وعميقاً أكثر، وهو يقدّم نماذجه الغنائية اللحجية، ليسعد جمهوره وعشاق فنّه، ومن ذلك اطلالاته الفنيّة المتعدّدة في أمسيات سهرات الأعراس ومن على خشبة (المخادر)، بمدينة الفنّ والذوق الرفيع (سعاد الشحر) أرض الشاعر والملحن الكبير حسين أبي بكر المحضار، التي افتتح أمسية من تلك الأمسيات برائعة عميد الدّان حدّاد بن حسن الكاف، واستطاع أن يشحن جمهوره الكبير معه إلى أجواء تلك الدّيار في وادي حدّاد الشاعر المشتاق:

بسألك يا عاشور عن حال البلد
وأخبار غنّانا
وكيف الناس والبلده
بالله خابر عاد حد من بعد حد
أو عادهم في ذكر حدّاد

فيصل علوي: (طيّب يا اهل الشحر طيّب):

ففي هذه الليلة الفرائحية، التي احتشد فيها الآلاف من جمهور وعشاق الفن والطرب بمدينة الشحر، كان الفنان الكبير فيصل علوي بارعاً وهو يدوزن عوده على هذه الرائعة الغنائية اللحجية للشاعر الكبير عبد الله هادي سبيت، التي جاءت على لحن دان لحجي قديم لرائعة (يهناك طيب المحبة يا ورش يهناك)، ليمسك بتلابيب تلك اللحظة ويهيمن على حواس ومشاعر جمهوره، ليخلق تفاعلا، امتزجت فيها ذائقة السّماع والترديد والنشيد والتصفيق والانصات الرصين، فما كان منه إلا ردّد عبارته الارتجالية الدّالة: (طيّب يا أهل الشحر طيّب).

وبمثل ما نجح في تقديم اختياراته العيدية لأجمل الروائع الغنائية اللحجية لجمهوره وعشاق فنّه في مدن حضرموت، نجده يُحْسن التنقل من غصن إلى فنن، مِنَ درر الغناء الحضرمي، ليؤكدَ هضمه لكل ألوانه وايقاعاته، التي ليس سهلاً مقاربتها من كبار الفنّانين الآخرين، الذين يترددون كثيراً في خوض مثل هذه التجارب والاستمرار في ملازمتها فناً وتطريباً وإبداعا، فقد استطاع أن يتفوّق ويتألق في مقارباته العديدة للأغنية الحضرمية، لاقترانها كثيراً بالإيقاعات نفسها التي تستخدمها الأغنية اللحجية، خاصة ايقاعات الهاجر والمراويس، التي تهيمن على أجواء اللحن القادم من ثنايا الرقصات الشعبية في حضرموت ولحج، ويضيف حيويّة لافتة على مجريات الحركة الموسيقية لتداعيات اللحن وهمس الكلمات.

فيصل علوي خطرات وخطوات في الأغنية الحضرميّة:

وحين نتقصى خطرات وخطوات الفنان الكبير فيصل علوي والأغنية الحضرمية التي اخذت حيزاً كبيراً في مشوار حياته الفنيّة، وقدمها في اطلالاته المتعددة، فإننا نستطيع أن نؤكّد أن هذا المبدع الكبير قد عكف كثيراً على الاستماع والاستمتاع بتجارب العديد من فناني حضرموت الكبار الذين سبقوه تاريخياً، وكانوا مشكاته الإبداعية لمقاربتها في سنوات ومحطات عمره الفني اللاحق. إذ نلحظ في مقاربته لهذه التجارب الغنائية ارتباطه الوثيق واستلهامه الواضح لتراث الفنان الكبير محمد جمعة خان، العبقرية الغنائية التي رحلت إلى دار البقاء في (25 ديسمبر 1963م)، ولم يكمل الموهبة فيصل علوي الرابعة عشر من عمره، وهو ما يجعله أكثر تتلمذاً في مسيرته الغنائية الحضرمية لتراث الفنان الكبير محمد جمعة خان، فكما هو مثبت تاريخياً أن الفاتنة عدن، كانت قد شهدت في مطلع خمسينيات القرن العشرين العديد من الجولات الفنيّة للفنان الكبير محمد جمعة خان، كان من حصادها ما حفظته الذاكرة الفنيّة من تسجيلات نادرة على أسطوانات (الريل والأقراص)، من قبل شركات فنيّة لهذا الفنان، وبالتالي - كما يبدو - لم يتغافل المبدع فيصل علوي عن اقتناء اسطواناته والاحتكاك المباشر مع روائع الغناء الحضرمي الأصيل .

فيصل علوي وتراث محمد جمعة خان:

ومما يؤكد تأثره الكبير بالتجربة الفنيّة للراحل الفنان محمد جمعة خان، أنه قد ذهب إلى مقاربة رائعة الشاعر الغنائي المكلاوي يسلم مبارك باحكم الذي ولد في العام (1921م)، ورحل -يرحمه الله -في العام (1977م)، وقد شكّل -كذلك -ثنائياً فنيّاً معه، تجاوزت أعمالهما الغنائية العشرين عملاً، كان اختيار الفنان الكبير فيصل علوي الرائعة المشهورة التي مطلعها:

في دقيقة القمر ولّى ** وفاجأني الظلام
في دقيقة ** انصرم حبل المودّة والوئام
في دقيقة ** غاب بدري فعلى الدّنيا سلام
في دقيقة ** راحوا الأحباب واشتد الخصام

فيصل علوي ورائعة المفلحي (رسول بلّغ):

ومن جميل مقارباته الفنيّة لتراث الفنان الكبير محمد جمعة خان رائعة الشاعر والملحن الكبير صالح عبد الرحمن المفلحي (رسول بلّغ لخلاني السلام)، وهي الرائعة الغنائية الأولى في حياة الشاعر المفلحي التي قدمها الفنان محمد جمعة ولم يزل شاعرها في الرابعة عشر من عمره، ليختارها الفنان فيصل علوي ضمن رحلته الإبداعية مع الأغنية الحضرمية المعاصرة، كما اختار من المكتبة الموسيقية للفنان الكبير محمد جمعة خان، رائعة الشاعر الضرير سعيد مرجان ابن مدينة الشحر الذي رحل يرحمه الله في ستينيات القرن العشرين، وخلدته رائعته الغنائية:

قال الذي هو في بحور العشق من
قبل الفطام التي لحنها محمد جمعة
خان وغناها، ليقدمها فناننا الكبير
فيصل علوي، في حين نجده قد حرص
كذلك على مقاربة الروائع الغنائية لكبار شعراء اللغة العربية الفصحى، الذين لحّن وتغنّى لهم الفنان محمد جمعة خان ومنهم: الشاعر عبد الغني النابلسي ابن مدينة دمشق المولود في أجواء العام (1731-1641م)، ورائعته: (عيني لغيري جمالك)، كما رائعة الشاعر الجزائري أبو مدين الغوث الأنصاري المولود في العام (1126 – 1198هـ)، (تملكتموا عقلي وطرفي ومسمعي).

فيصل علوي ورائعة (قال كنْدي رعى اللّه ليالي):

وأما رائعة شاعر الهجرة والاغتراب الحضرمي المبدع الكبير خميس كندي (قال كندي رعى الله ليالي في حمروين)، فقد نالت بصوت وعزف وأداء الفنان الكبير فيصل علوي شهرة واسعة في داخل الوطن والجزيرة والخليج ومواطن الهجرة والاغتراب/ ومطلعها يقول:

قال كندي رعى الله ليالي ** في حمروين متسلسلة
لا تذكرتها استر حالي ** عوّد الله ليالي السعود

فيصل علوي وأغنيات عميد الدّان حدّاد:

من جميل روائع أغنيات الدّان الحضرمي، تغنى الفنان الكبير فيصل علوي برائعتي عميد الدّان الشاعر والملحن الفنان حداد بن حسن الكاف، (يقول بن هاشم بكت لعيان دم واحتن قلبي)، ورائعة بسألك يا عاشور عن حال البلد، مقدماً نماذج من عصارة تراث أغنيات الدّان بأداء وعزف وتفاعل وتماه كبيرين.

فيصل علوي ورائعة الحضار (دعوة الأوطان):

ومن تراث الشاعر والملحن الكبير حسين أبي بكر المحضار، وضع الفنان الكبير فيصل علوي يده على رائعتين من أجمل وأعذب روائعه الغنائية ذات البعد الموضوعي الرمزي، التي تجلّت في أغنية: (فضيلة على العين)، والأخرى ذات البعد الوطني العميق التي يبدأها المبدع الكبير فيصل علوي بهذا الأداء الشجي العذب، (دعوة الأوطان).

لذا نستطيع القول باطمئنان أن رحلة فن المبدع الكبير فيصل علوي مع الأغنية الحضرمية، قد حملت ملمحاً فنيّاً جديداً وجميلاً في تاريخها المعاصر، ووضعته في مقدمة كبار مبدعيها الذين نثروا رسالتها الجمالية والشعرية والفنية والتراثية والموسيقية خلال النصف القرن الثاني من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ولم يكن لهذه التجربة للمبدع الكبير فيصل علوي أن تكون لولا عبقريته الفنيّة الفذة التي مكنته من اتساع تجاربه الغنائية ليطوف بروعة واتقان مع كل ألوان وفنون الغناء في بلادنا، وإن حملت اطلالته الغنائية الحضرمية ذات نكهة مزجت بين لونين من أجمل الألوان الفنيّة وأكثرها تأثيراً وانتشاراً في داخل الوطن والجزيرة والخليج حتى اليوم.